السعادة الحقيقية

فى أصيل يوم صفا جوه ، ورق نسيمه ، خرجت للترفيه عن النفس ، فقصدت متنزها يقع على إحدى ضفتى النيل :

فسرت أتجول فى أنحائه ، متمشيا فى جنباته ، معجبا بما أودع هذا الروض ، من حسن وجمال ، وبهاء وجلال ، ثم أردت الاستراحة ، فجلست على مقعد يقترب قليلا من الشاطىء ، ولم أعزم بالقيام ، حتى أقبل صوبى صياد يحمل شبكة وسمكة كبيرة ، يعرضها للبيع — وكان الرجل لم يزل فى مقتبل العمر ، تبدو على محياه مسحة الذكاء وآيات النجابة ، نشيطا منتبطا مسرورا .

ولدافع فى نفسى «لست أدرى كنهه» أعطيته الثمن بدون مساومة فأخذه منى شاكرا ، متضرعا إلى الله قائلا (اللهم اجعله سعيدا بنفسه كما جعلته سعيدا بماله) .. دهشت لقول الرجل والتفت إليه قائلا . . وماذا تعنى بذلك ؟ — وهل من سعادة أخرى غير سعادة المال ؟ . . فابتسم ابتسامة هادئة وقال فى سكون وروية : لو كانت السعادة المنشودة جمع المال وحشده فقط ، لكنت من أتعس الناس وأشقاهم ، لأنى لا أملك من حطام الدنيا شيئا يقيم أودى ، غير هاته الشبكة التى بها أجلب مرتزقى ، فشعار سعادتى الرضا والقناعة لأنى لست شرها ولا من عباد المال — فمن أى باب يأتينى الشقاء ؟ .. فالسعادة كل السعادة فى راحة النفس وقناعتها بالرزق المقسوم — والشقاء كل الشقاء فيما يؤلم النفس ويعكر صفوها !

أما أنا فلا أجد للشقاء منفذا ، ولا أجد فى رفاقة هندامى وخشونة عيشى ، إلا سعادة واغتباطا !

فقلت .. ألا تحزن لرؤيتك الأغنياء منغمسين فى ملذاتهم ورياشهم وقصورهم ؟ .. قال .. ما هذا كله إلا مظاهر كاذبة ، لا أغيرها إلتفاتة ! — فحسبى سعادة ما أمرح فيه من جمال الطبيعة ، شاطىء جميل ، هواء بليل ، ونسيم سجاج يملأنى قوة ونشاطا وصحة ونضارة — ألقى الشبكة وكلى يقين بكسب الغنيمة فلا أزال حتى أشعر بحركة الشبكة . فأعلم أن الفريسة قد وقعت وعندئذ أجذبها إلى ، أو هى التى تجذبنى من أحلامى وتأملاتى

فى مناظر الطبيعة الساحرة . ـ

أعود بالسمك وأعرضه للبيع ، ثم أقفل راجعا إلى منزلى فتلقانى زوجى وبعانقنى أولادى وكلهم فرحون مستبشرون ثم نأكل مما قسم الله لنا . وأنام هادىء البال مرتاح الضمير لا أحتاج إلى فراش وثير أو ديباج وحرير

فلم لا أكون من أهدأ الناس بالا وأسعدهم حالا ؟ ؟

ثم سكت برهة وكأنه يفكر ليقول ..

« ما العالم إلا كبحر زاخر أسماكه بنو الانسان ،وما الموت إلا ذلك الصياد الذى يلقى الشبكة فى البحر فتمسك ما تمسك ـ وما يفلت منها يبقى حيث يأتى دوره غدا حيث لا مفر ولا نجاة ولو كان فى بروج مشيدة » فكيف أحفل بشىء مصيره حتما الفناء والزوال ؟؟ . . .

أكبرت ذلك من الرجل وقلت له إن الناس يتمنون السعادة ويطرقون أبوابها فلا يجدونها فكيف بك تراها ؟ فكان جوابه ـ إن الانسان سعيد بفطرته ، وإنما هو الذى يجلب لنفسه الشقاء بتغاليه فى طمعه للحصول على المال ـ فاذا تعذر عليه ذلك . فقد رشده ورمى الدهر بسهام اللوم والتعنيف ، ظنا منه أن الدهر يجب أن ينيله مطلبه ، لأنه حق من وضاع صوابه ،حقوقه ، لكنه لو خبر الدهر وعركه لعرف أن كل ما فى يد الانسان إن هو إلا وديعة ذاهبة وعارية مستردة .

ففتش عن السعادة الحقيقية تجدها بين جوانب نفسك وفى كل منظر جميل ساحر ، وإلا بؤت بالخذلان ، وصرت أشقى العالمين ، ولو ملكت كنوز الأرض والسماء ، وبنظرة تنطق بالسعادة والغبطة أهدانى التحية وانصرف . . .

بنى سويف «ربيع»

شهوة الطعام . وشهوة الكرامة

لم نر فى بطون التاريخ ولم نسمع قط أن إنسانا تقدم للقتل راضيا . أو كد نفسه حتى مات فى سبيل أكلة يشتهيها أو عقار يقتنيه . وانما سمعنا أن أناسا عديدين تقدموا للقتل راضين . وضحوا بأنفسهم من أجل حفظ كرامتهم والذود عن حقوقهم ولم يقرهم عليها الكثير من الناس لحاجة فى أنفسهم

إن شهوة الكرامة أقوى فى نفوس عاشقيها من شهوة الطعام أو اقتناء المال

د . يوسف